مع هذا، ورغم ذلك،

مع هذا، ورغم ذلك، فانهم يظهرون على شاشات التلفزيون. يقلدون كلارك غيبل ومحمود المليجي. بكوفية وعقال وعباءة تنساب من واشنطن الى بئر نفط من موسكو الى بئر نفط من برلين ولندن الى بئر نفط ومن عدسة المصور الى بئر نفط مع هذا ورغم ذلك يظهرون. وهم يتكلمون أيضا ويبتسمون ويغطون أفواههم بأناملهم حين يتجشأون (ليس من اللائق ألا يغطي المرء فمه بأنامله حين يتجشأ). يتجشأون ويتوضأون مع هذا ورغم ذلك.

وكم كان أسامة بن منقذ سيحسدهم لو أتيح له هو الآخر أن يشاهدهم على شاشات التلفزيون مطوقين برجال الصحافة ومراسلي وكالات الأنباء العالمية. على رؤوسنا الطير. وعلى رؤوسهم هالات الأبهة والعظمة والقدرة على تحديد المصائر.

أما ذلك الكردي صلاح الدين الأيوبي فلن يفقه من أمرهم شيئا. كردي. قلت لكم كردي. يقول ما يؤمن به ويصدق ما يقال له دون أن يسمع ودون أن يريد أن يسمع: "أريد سيوفكم لا دعاءكم" هكذا قال الكردي ابن الكردية. انه يستخف بالماس ميديا. كان سيفقه شيئا لو كان اسم القمر الاصطناعي "كُردسات" أما أن يكون اسمه "عربسات" فمسألة عصية على فهمه. الكردي. قلت لكم . لا يسمع ولا يتكلم.

يجاهد فحسب. قلت لكم. وقد قال الشاعر قديما:

وانما الأمم الأخلاق ما غشفت
فان همو شخفت أخراشهم، غُود باي !

وأقسم لكم أنني لم أصافح كردينالا في حياتي. صافحت بطركا وأكثر من بطرك. لكن لا كردينالات في حياتي. وانني لأقسم بشرفي. انما ما يعنيكم أنتم من حكاية الشرف هذه؟ ألم يقل الشاعر:

لا يسلم الشرفُ الرفيع من القذى
حتى يراق على الفراش العندُم !

ها! ألم يقل ذلك أيها الحمقى التنابلة الطاعمون الكاسون القاعدون؟ لا أمازحكم. انني أشتمكم. وانني لأرى أقفية قد أينعت وحان جلدها. فمن لي بسوط يطالكم من المحيط الهادر، الى الخليج الثائر، لبيك عبد المعطي؟!

وأصل الحكاية أن صديقا (هو في الحقيقة عدو على صورة صديق)، اتصل بي قبل أيام ليقول:

- هالو. أعتقد أنك على وشك الجنون. وأقترح عليك مراجعة طبيب نفساني.

قلت:

- راجعت أربعة أطباء نفسانيين.

قال:

- حسنا. وماذا حدث؟

قلت:

- حسنا. أصيبوا، أربعتهم، بالجنون.

قال:

- حسنا. وماذا بعد؟

قلت:

- حسنا. راجع كل منهم أربعة أطباء نفسانيين آخرين.

قال:

- حسنا. وماذا حدث؟

قلت:

- حسنا. أصيبوا هم أيضا بالجنون. وأصبح لدينا عشرون طبيبا نفسانيا مجنونا.

قال:

- حسنا. وماذا بعد؟

قلت:

- حسنا. لم يبق لي سوى أن أشرب من البئر حتى أصبح عاقلا مثل سائر المجانين. ولم أشرب من هذه البئر ولن أشرب منها لأن العقلاء ينبغي أن يكونوا عقلاء، ولأن المجانين ينبغي أن يعقلوا، فلا يعقل أن يحكمنا الجنون لأن الجنون لا يحكم بل يدمر. والجنون لا يستفتي بل يقرر. والجنون لا يؤمن بالشورى ولا بالتعددية ولا بالغيرية. انه جنون، ذاته، ولذاته الذي لا يمكن أن يكون ذاتا، ما دام محكوما بالجنون الذي لا يحكم بل يتحرك، خارج المقاييس والموازين والجهات. وهو يتحرك بفعل الجاذبية وبطاقة الغريزة فحسب.

وأما بعد،

فكرادلة بطرابيش واكليروس بعمائم وفتاوى وفق الطلب وصكوك غفران كل صك يبئر نفط في الجنة.

ويتخرج فوج اكاديمي أثر فوج عسكري أثر فوج مغترب أثر فوج من الشعراء والراقصات والشهداء. ونقول للوحدة العربية اقتربي فتقترب. ونقول لها ابتعدي فتبتعد. ونقول اقتربي فتقترب وابتعدي فتبتعد. كأية أم عربية تحب اطفالها وتمتثل لأوامرهم لأنها تشك في حبهم لها وتشك في مؤهلاتها لأن تحب وتحب على قدم المساواة. وتقترب وتبتعد. ونقترب ونبتعد. ويظل هو الحاكم المطلق الصلاحيات الكأنما ولد حاكما أو ولد ليحكم بالتجريد وفي الأبد. لا يقرأ سوى بياناته ومراسيمه ولا يفكر الا بحذائه العسكري ويتدفق الأطباء والأدباء داخل الحذاء العسكري. وتعقد دورة الألعاب الاولمبية داخل الحذاء العسكري. وتتم الولادات وتجرى العمليات القيصرية وتذاع الاعلانات لحليب نيدو ونستلي والأراجيح الأقل خطرا وملابس الأطفال الأكثر اثارة .. داخل الحذاء العسكري. بجوارب او بدون جوارب. انما داخل الحذاء العسكري. وكل شيء يسير بانتظام عسكري الا الحرب!

قلت الحرب لم أقل السلام فأي سلام يرد الآن بالحسبان؟

وقلت الحرب لم أقل الحرية. فأية حرية ترد الآن بالحسبان؟

وقلت الحرب لم أقل مشاريع الري والهندسة المعمارية وشق الطرقات والجسور. كل هذه الصغائر تأخذ مجالها وتحقق ذاتها داخل الحذاء العسكري المعد لكل شيء، عدا الشؤون العسكرية!

وأما بعد.

فأنني أتساءل بشأن الخلافة. لم يوفق سلاطين آل عثمان بلكنتهم التركية في أن ينجزوا خلافة للعروبة. ولم يأخذ الحظ بيد الفاروق

بن فؤاد بن أبيه لينجز خلافة للعروبة، فهل ينجح قابوس بن سعاد بن أبيه حيث فشل هؤلاء؟

سؤال وجيه وأيم الحق! فامض يا ثعلبة الى مضارب قريش واستفتِ تغلب وقضاعة في الأمر.

وأما بعد،

فماذا بعد؟

ويا أيتها السماء.. كم أنا قريب.. وكم أنت بعيييييييده..ه..ه..ه

«الناقد» ـ ١١٩٠